مفهوم الحكمة بين الدين والفلسفة

بقلم

الدكتور

جمال الدين حسين عفيفي

مدرس العقيدة والفلسفة

بالكلية

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وكرمه وفضله على كثير من الكائنات ، يشير إلى ذلك قوله تعالى [ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا] الإسراء — ٧٠ —

ولعل من أفضل النعم التى أنعمها الله على عباده نعمة العقل الذى به تميز الإنسان عن باقى الكائنات وبه يستطيع الإنسان أن يميز بين الفضائل والرذائل فيصبح إنساناً حكيما ومعنى ذلك أن الحكمة تعتبر هى فضيلة القوة العاقلة على حد تعبير فلاسفة الأخلاق، ولو أننا نظرنا إلى الحكمة فسوف نجد أنها قد استخدمت عند رجال الدين وعند الفلاسفة إستخدامات مختلفة ومتنوعة ومن هنا يأتى موضوع هذا البحث وهو مفهوم الحكمة بين الدين والفلسفة .

ولعل من أهم أهداف هذا البحث ما يأتى :

(أ) عرض المفاهيم المختلفة للحكمة عند الاتجاهات المختلفة .

(ب) بيان أهمية الحكمة عند هذه الاتجاهات المختلفة وذلك على حسب المنهج التالى :

القسم الأول : عرض المفهوم العام للحكمة .

وذلك من خلال بيان المفهوم اللغوى والاصطلاحى للحكمة ثم بيان من هو الحكيم .

القسم الثانى : الحكمة فى المفهوم الدينى ويشمل :

(أ) تعريف الدين لغة واصطلاحاً .

(ب) الحكمة فى القرآن الكريم .

(ج) الحكمة فى السنة النبوية .

(د) الحكمة عند الصوفية .

(ه) الحكمة عند المتكلمين .

(و) الحكمة عند علماء أصول الفقه .

القسم الثالث : مفهوم الحكمة فى الفكر الفلسفى ويشمل مايأتى :

(أ) المعنى الإشتقاقى والإصطلاحى للفلسفة .

(ب) المفهوم الواسع للحكمة فى الفكر الفلسفى .

(جـ) المفهوم الضيق للحكمة فى مفهومها الفلسفى (أى الحكمة الخلقية)

وأخيرا خاتمة البحث وفيها أهم النتائج التى اشتمل عليها البحث من خلال المقارنة بين مفهوم الحكمة فى كل من الدين والفلسفة .

والله أسأل أن يوفقنا إلى مافيه الخير والسداد .

المفهوم العام للحكمة

الحكمة فى اللغة تطلق ويراد بها المعانى الآتية :

١ — الإتقان فى القول والفعل .

٢ — العلم المقترن بالعمل .

٣ — معرفة ماهو حق من حيث ذاته .

٤ — الكلام الذى يوافق الحق فى لفظه ومعناه .

٥ — الكلام المعقول الذى لا حشو فيه .

ففى المعنى الأول : يقول التهانوى (الحكمة بالكسر فى الأصل هى إتقان الفعل والقول وإحكامهما)[1] .

أما عن باقى المعانى : فيقول الجرجانى : (الحكمة فى اللغة هى العلم مع العمل وقيل الحكمة يستفاد منها ماهو الحق فى نفس الأمر بحسب طاقة الإنسان وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة وقيل الحكمة هى الكلام المعقول المصون عن الحشو)[2] .

ولو أننا نظرنا إلى هذه المعانى اللغوية للحكمة فسوف نجد أنها معان تدور كلها حول وصف الحكمة بالصفات الراقية التى تجعلها ذات مكانة عالية ، بحيث تجعل من يتصف بها يكون فى أعلى درجات السمو .

---

(١) كشاف إصطلاحات الفنون لمحمد على الفاروقى جـ٢ص ١٣٢ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢) التعريفات للجرجانى ص٨١ ، طبع مكتبة مصطفى البابى الحلبى .

ومن هنا نستطيع أن نقول أن الحكمة بالنسبة للشخص المتصف بها أى الحكيم هى عبارة عن ملكة (تكسب صاحبها جودة الحكم وحسن التصرف[١].

التعريف الإصطلاحى للحكمة :

إن الحكمة قد عرضت بكثير من التعاريف عند أصحاب الاتجاهات الفكرية المختلفة ولذلك فإنه ليس من السهل أن نقوم بوضع تعريف جامع مانع لها ، وسوف نعرض فيما يلى بعضا من هذه التعاريف الإصطلاحية:

١ — الحكمة هى (البحث عن أموال أعيان الموجودات على ما هى عليه فى نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية[٢].

٢ — إن الحكمة هى معرفة الحق لذاته والخير لأجل العمل به وهذا التعريف ينتسب إلى الإمام فخر الدين الرازى[٣].

٣ — الحكمة هى معرفة آفات النفس وطرق مجاهدتها[٤]:

٤ — الحكمة هى الحجة القطعية المفيدة للإعتقاد القطعى دون الظن بحيث تؤدى إلى الإقناع الكامل ، وهذا التعريف ينسب إلى الإمام الرازى أيضا[٥].

(١) دراسات فى الفلسفة للدكتور صلاح عبد العليم ابراهيم ص ١٦ ط ١٩٨١ (بتصرف).

(٢) كشاف إصطلاحات الفنون لتهانوى سنة ١٩٦٣ جـ ١ ص ٤٩

(٣) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازى سورة الإسراء.

(٤) المرجع السابق .

(٥) مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازى سورة النحل .

هذه بعض تعريفات الحكمة من الناحية الإصطلاحية ونلاحظ عليها ما يأتى :—

١ — أن هذه التعريفات تنتمى إلى اتجاهات متنوعة وذلك كما يلى :—

(ا) التعريف الأول للحكمة هو تعريف فلسفى بالدرجة الأولى حيث إنه يجعل الحكمة هى أن نبحث فى أحوال الموجودات على ما هى عليه وهذا يتفق تماماً مع تعريف الفلسفة عند الفارابى الذى يقول فيه (الفلسفة جوهرها وماهيتها إنها العلم بالموجودات بما هى موجودة)[١].

(ب) أما التعريف الثانى فإنه يتميز بأن له طابعاً أخلاقياً فى المقام الأول حيث إنه يجعل الحكمة هى أن يعرف الإنسان الحق معرفة ذاتية ، ويعرف الخير من أجل العمل به . فهذا التعريف من الممكن أن يندرج تحت ما نسميه بالفلسفة الأخلاقية العملية .

(ج) أما التعريف الثالث فهو تعريف له طابع صوفى إذ أنه يجعل الحكمة معرفة آفات النفس والعيوب بالمجاهدة .

(د) أما التعريف الرابع فهو تعريف استدلالى لأنه يجعل الحكمة عبارة عن التوصل إلى الحجة القطعية التى توصل الإنسان إلى العقائد القاطعة البعيدة عن الظنون وهذا التعريف له طابع يمكن أن يستفيد به علماء الكلام .

٢ — نستطيع من خلال هذه التعريفات أن نتبين أن الحكمة فى

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية للشيخ مصطفى عبد الرازق ص ٤٩ ط القاهرة سنة ١٩٥٩

مفهومها العام قد استخدمت فى مجالات كثيرة ومتنوعة حيث استخدمها الفلاسفة والمتكلمون والصوفية وغيرهم وكان لكل منهم مفهومه الخاص للحكمة . وهذا ما سنقوم بتوضيحه توضيحاً مفصلا فى إطار هذا البحث .

٣ — إن التعريف الذى نرجحه للحكمة فى مفهومها العام هو التعريف الأول وذلك لما يأتى :—

(ا) إنه تعريف شامل حيث يجعل الحكمة هى البحث فى حقائق الموجودات بقدر الطاقة البشرية .

(ب) إن هذا يتفق مع ما يراه المفكرون حيث قالوا بأن الفلسفة هى محبة الحكمة .

(ج) إن الحكيم دائماً هو الذى يشتهر بين الناس بأنه هو ذلك الشخص الذى يتعمق بالبحث فى كل الأمور المتاحة له من حيث هو بشر .

من هو الحكيم ؟ :

إن المفكرين والعلماء لم يتفقوا على تحديد سمات الحكيم ولذلك قد تباينت أقوالهم فى ذلك على النحو التالى :—

١ — هناك من يجعل الحكيم هو ذلك الإنسان الفيلسوف أو المتفلسف وأصحاب هذا الاتجاه هم الذين رأوا أن الفلسفة هى محبة الحكمة ، والفيلسوف هو الذى تعمق فى دراستها فاستحق أن يوصف بأنه حكيم .

٢ — هناك من رأى أن الحكيم هو ذلك الشخص الذى جمع بين العلم والأخلاق الطيبة ، وهذا الاتجاه يجعل الحكيم هو ذلك الإنسان الذى يتميز بالطابع الأخلاقى .

٣ — هناك رأى ثالث يجعل الحكيم هو ذلك الشخص الذى يستطيع أن يملك زمام نفسه وهواه وهذا الاتجاه يميل أصحابه إلى جعل الحكيم إنساناً متصوفا يستطيع أن يتحكم فى أهوائه ونوازعه النفسية الشريرة .

٤ — هناك من يرى أن الحكيم هو ذلك الإنسان الذى يملك الحجة القطعية بحيث يستطيع أن يوصل غيره إلى الإقناع وهذا الاتجاه يميل أصحابه إلى جعل الحكيم إنساناً قادراً على الاستدلال الصحيح فى أفكاره بحيث يستطيع أن يقنع بها الآخرين .

ونلاحظ على هذه الاتجاهات ما يأتى : —

(ا) أنها قد تنوعت فى وصف الحكيم فبعضها قد جعله فيلسوفاً والبعض الآخر قد جعله متصوفاً أما البعض الثالث فقد جعله إنساناً أخلاقياً بينما البعض الرابع فقد جعله إنسانا قادراً على الاستدلال الصحيح على أفكاره .

(ب) إننا نرجح القول بأن الحكيم هو الفيلسوف الذى يستطيع أن يتعمق فى كل الأمور من أجل الوصول إلى الحقيقة فيها .

مفهوم الحكمة فى الفكر الدينى

تطلق كلمة دين فى اللغة على أحد الإطلاقات الآتية :—

١ — قد تكون هذه الكلمة (أى كلمة دين) مشتقة من فعل متعد باللام فتقول دان له ومعناها أطاعه وخضع له .

٢ — قد تكون هذه الكلمة مأخوذة من فعل متعد بالباء فتقول دان به ومعناها أى اعتقد به وصدق به .

٣ — قد تكون مشتقة من فعل متعد بنفسه فتقول دانه ومعناها ملكه .

ولكننا إذا نظرنا إلى هذه المعانى الثلاثة فسوف نجد أنها تشير إلى وجود علاقة بين طرفين بحيث يقوم أحد هذين الطرفين بتعظيم الآخر ويدين له بالخضوع ، فإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعا واستسلاما وانقيادا وإذا وصف بها الطرف الثانى كانت أمراً وسلطانا، أما إذا نظرنا إلى الرباط الجامع بين الطرفين كان معناها هو دستور منظم لتلك العلاقة بين الطرفين[1] .

المعنى الإصطلاحى للدين :

الدين قد عرف من الناحية الإصطلاحية بكثير من التعاريف وليس يقينا عرض هذه التعاريف عرضاً مفصلا ولكن نريد أن نقدم تعريفاً هو أقرب التعاريف إلى الصواب وهو تعريف الإسلاميين للدين وهو أن الدين (وضع إلهى سائق لذوى العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح فى الحال وفى المآل)[2] .

إننا إذا أردنا أن نحدد مفهوم الحكمة فى الاتجاه الدينى فيجب أن نشير إلى ما يأتى :—

١ — إننا سنقتصر على عرض مفهوم الحكمة فى الاتجاه الدينى الإسلامى فقط ذلك لأن الدين الإسلامى هو خاتم الأديان السماوية وهو الدين الذى ارتضاه الله لعباده فى قوله تعالى (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) .

[سورة آل عمران — الآية ٨٥]

(١) الدين للدكتور محمد عبد الله دراز ص٢٥

(٢) المرجع السابق .

٢ — إن الحكمة قد استخدمت فى الفكر الدينى الإسلامى استخداما متنوعا على حسب تنوع مجالات الفكر الإسلامى وذلك كما يلى :—

(ا) قد جاءت الحكمة فى القرآن الكريم والسنة النبوية بمعان كثيرة ومتعددة .

(ب) قد قام المتصوفة فى الإسلام باستخدام الحكمة فى كثير من معانيهم الصوفية وكانت ذات معان متعددة أيضاً .

(ج) أما علماء الكلام وكذلك علماء أصول الفقه فقد استخدموا الحكمة أيضاً ولكن على نحو آخر يختلف عن سابقيهم وهذا ما سنقوم بتوضيحه توضيحاً مفصلا فيما يأتى :—

(ا) الحكمة فى القرآن الكريم :—

١ — لقد اهتم القرآن الكريم بالحكمة لدرجة إنها قد وردت فى بعض سوره وقد عدها بعض العلماء فى عشرين موضعاً .

٢ — أما لفظ الحكيم فقد تكرر فى القرآن كثيراً وهو حين يرد فيه قد يكون صفة لله أو صفة للقرآن الكريم .

٣ — إن معانى الحكمة فى القرآن يمكن أن تتلخص فيما يأتى :—

المعنى الأول : مواعظ القرآن : ويشير إلى ذلك قوله تعالى : (وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به) ... [البقرة : ٢٣١] والمقصود بذلك مواعظ القرآن . ويشير إلى نفس المعنى قوله تعالى : (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة) ... [النساء : ١١٣] .

المعنى الثانى : إن الحكمة قد يراد بها الفهم والعلم يشير إلى ذلك قوله تعالى : (وآتيناه الحكم صبياً) ... [مريم : ١٢] ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : (ولقد آتينا لقمان الحكمة) ... [لقمان : ١٢] .

المعنى الثالث : النبوة : يشير إلى ذلك قوله تعالى : (وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) ... ص — ٢٠ — ويشير إلى ذلك أيضاً قوله تعالى : (وآتاه الله الملك والحكمة) ... البقرة — ٢٥١ —

المعنى الرابع : هو القرآن بما اشتمل عليه من عجائب الأسرار يشير إلى ذلك قوله تعالى ، (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة)[1] ... النحل — ١٢٥ —

المعنى الخامس : أنها قد تطلق ويراد بها السنة فى قوله تعالى:(ويعلمهم الكتاب والحكمة) ... الجمعة — ٢ — ومما يؤكد ذلك أن ابن القيم قال : [إن السلف قد أجمعوا على أن الحكمة فى هذه الآية بمعنى السنة[2] .

وفى نفس المعنى ورد قوله تعالى : (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة)... الأحزاب — ٣٤ —

المعنى السادس : أن الحكمة قد تطلق فى القرآن ويراد بها الإصابة فى القول لغير الأنبياء كما فى قوله تعالى : (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة وقد أوتى خيراً كثيراً) ... البقرة — ٢٦٩

وممن ذهبوا إلى ذلك من المفسرين مجاهد حيث قال : —

إن الحكمة فى هذه الآية هى العقل والفهم والعلم والإصابة فى القول فى غير نبوة[3] .

---

(١) تفسير مفاتيح الغيب للإمام الرازى ج٣ص ٦٢٠

(٢) ابن القيم الروح ص ١٢٧ سنة ١٩٦٣ ط ٤

(٣) أخلاق العلماء لأبو بكر بن الحسين بن عبد الله ص ١٠ ط دار الكتاب العربى بيروت .

ولعلنا نلاحظ أن معانى الحكمة التى وردت فى القرآن الكريم كلها من المعانى الرفيعة العالية التى لا يتصف بها إلا من اصطفاهم الله من الأنبياء والمرسلين والصالحين .

٤ — إن القرآن الكريم يؤكد لنا على أن الحكمة تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول الحكمة النظرية :

القسم الثانى : الحكمة العملية .

وقد أشار إلى ذلك الإمام الرازى فى تفسيره حين قال : إن القرآن قد حكى عن إبراهيم قوله تعالى : (رب هب لى حكما)... الشعراء — ٨٣ فإن ذلك يشير إلى الحكمة النظرية وقال تعالى(وألحقنى بالصالحين)... الشعراء — ٨٣ — فإن ذلك يشير إلى الحكمة العملية .

وقال عيسى عليه السلام أنه قال (إنى عبد الله)... مريم — ٣٠ — وكل ذلك للحكمة النظرية ، ثم قال (وأوصانى ، بالصلاة والزكاة مادمت حياً)... مريم — ٣١ — وهو الحكمة العملية .

وقال فى حق محمد ﷺ (فاعلم أنه لا إله إلا الله)... محمد — ١٩ وهو الحكمة النظرية ، ثم قال تعالى : (واستغفر لذنبك)... محمد — ١٩ — وهو الحكمة العملية .

وقال فى جميع الأنبياء(ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا) ... النحل — ٢ — وهو الحكمة النظرية ، ثم قال (فاتقون) ، ... النحل — ٢ — وهو الحكمة العملية[1] .

---

(١) أخلاق العلماء لأبو بكر الحسين بن عبد الله ص ١٠ ط دار الكتاب العربى بيروت .

(ب) مفهوم الحكمة فى السنة النبوية :

لقد اهتمت السنة النبوية بالحكمة إهتماماً كبيراً حيث إنها قد وردت فى كثير من الأحاديث وذلك على النحو التالى :

١ — وردت الحكمة فى السنة بمعنى تقوى الله والخوف من إرتكاب معاصيه يشير إلى ذلك قول الرسول عليه الصلاة والسلام : رأس الحكمة مخافة الله ... (رواه البيهقى فى الدلائل) .

٢ — قد تكون الحكمة بمعنى المعرفة والبحث عن الحقيقة يشير إلى ذلك قول الرسول ﷺ . الحكمة ضالة المؤمن .. (أخرجه الترمذى فى باب العلم) .

٣ — وقد تطلق الحكمة ويراد بها مطلق العلم والحكم بين الناس يشير إلى ذلك قول الرسول ﷺ : لا حسد إلا فى إثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق، ورجل آتاه الله الحكمة هو يقضى بها ويعلمها... (رواه الشيخان عن بن مسعود رضى الله عنه) . ونحن بعد عرض هذه المعانى للحكمة فى السنة النبوية نستطيع أن نستنتج ما يأتى :

١ — إن النبى ﷺ قد إهتم بأمر الحكمة ورفع من شأنها .

٢ — إن الحكمة قد يكون لها طابع عملى كما أشار إلى ذلك الحديث الأول : — (رأس الحكمة مخافة الله) كما قد يكون لها طابع نظرى كما أشار إلى ذلك الحديث الثانى :

(ج) مفهوم الحكمة عند الصوفية :

لقد أشرنا فى عرض المفاهيم العامة للحكمة إلى أن الصوفية قد عرفوا الحكمة حيث قالوا : (الحكمة هى معرفة آفات النفس وطرق مجاهدتها). ونريد هنا أن نضيف إلى ماسبق أنهم قد جعلوا الحكمة هى محاولة معرفة النفس من حيث مالها وما عليها من الأمور التى تؤدى إلى تهذيبها ، وهذا التعريف للحكمة عندهم هو تعريف بالمعنى الضيق ذلك لأن لهم تعريفاً آخر أكثر إتساعاً للحكمة نقله لنا بهاء الدين العاملى عن بعض متأخرى الصوفية حيث قال إنهم يقولون عن الحكمة (إنها هى العلم بحقائق الأشياء على ما هى عليه وإرتباط الأسباب بالمسببات وأسرار إنضباط نظام الموجودات والعمل بمقتضاه][1] .

ونلاحظ على هذا التعريف ما يأتى : —

١ — إنه يجعل الحكمة هى محاولة تعرف حقائق الأشياء .

٢ — إن الحكمة تقتضى الربط بين الأسباب والمسببات .

٣ — إن الحكمة تكون نظرية وعملية .

أهمية الحكمة عند الصوفية :

يرى رجال التصوف أن الحكمة تلعب دوراً كبيراً فى حياة الإنسان ومعرفته لآفات نفسه حتى يستطيع الإنسان أن يتخلص من تلك الآفات ولذلك فهم يقولون [ينبغى على المرء بعد تحصيل علم المعرفة والتوحيد والفقه والشرائع أن يتعلم علم آفات النفس ومعرفتها وعلم الرياضة ومكائد

(١) الكشكول ج ٣ لبهاء الدين العاملى ص ٤١٣

الشيطان والنفس وسبيل إجتنابها وهذا ما يسمى بعلم الحكمة لأن نفس السالك إذا استقامت على الواجبات صلح طبعه وتأدب بآداب الله فتمكن من مراقبة خواطره، وتطهير سرائره ويطلقون على هذا علم الحكمة[1].

والصوفية يضعون شروطاً لكى يستطيع الإنسان أن يصل إلى تلك الحكمة منها :

١ — أن يتأدب الإنسان بالآداب الربانية .

٢ — أن يطهر الإنسان ظاهره وباطنه .

٣ — أن يتجه إلى الله إتجاهاً كلياً فلا ينشغل بغيره .

وهم يرون أن الإنسان إذا إستطاع أن يصل إلى هذه المرحلة فاضت عليه المعرفة واستطاع أن يصل إلى المكاشفة والمشاغلة .

أقسام الحكمة عند الصوفية :

تنقسم الحكمة عندهم إلى قسمين :

القسم الأول : الحكمة المنطوق بها : وهى علوم الشريعة والطريقة .

القسم الثانى : الحكمة المسكوت عليها : وهى أسرار الحقيقة التى لا يطلع الله عليها إلا أصفياءه من النبيين والصالحين[2] ،

(١) كشاف إصطلاحات الفنون للتهانوى جـ١ ص٤٤

(٢) تعريفات للجرجانى ص ٨٢

(د) الحكمة عند المتكلمين :

لقد تحدث المتكلمون عن الحكمة وهم بصدد الحديث عن قضية أفعال الله سبحانه وتعالى [1] ولكن نستطيع أن نفهم موقف المتكلمين من مفهوم الحكمة فلا بد لنا أن نشير إلى أن هذا المفهوم عندهم يرتبط بالمبادىء الآتية :—

المبدأ الأول : أنه يرتبط بقضية التحسين والتقبيح وهذه القضية قد إختلفت فيها آراء العلماء حيث ذهب المعتزلة إلى القول بأن التحسين والتقبيح مصدرهما العقل . أما الأشاعرة فقد قالوا إن التحسين والتقبيح يرجعان إلى الشرع ومعنى ذلك أن المعتزلة يرون أن الشيء يكون حسناً أو قبيحاً فى حد ذاته وأن العقل يستطيع أن يتوصل إلى إدراك هذا الحسن أو القبح فى الأشياء ، أما الأشاعرة فهم يقولون إن التحسين والتقبيح ليس عقلياً بل إنه تابع لحكم الشرع فما أمرنا الشرع أن نفعله فهو حسن وما نهانا عنه فهو قبيح .

المبدأ الثانى : إن مفهوم الحكمة عند المتكلمين يرتبط بقضية وجوب الأفعال على الله عقلا أو عدم وجوبها حيث ذهب المعتزلة إلى القول إن الأفعال التى يقبل العقل بحسنها يجب على الله أن يفعلها أما الأفعال التى يقول العقل بقبحها فيجب عليه أن يتركها ، أما الأشاعرة فقد قالوا إن الله لا يجب عليه شيء من الأفعال مستندين فى ذلك إلى أن الله مختار إن شاء

(١) لقد كتب فى قضية أفعال الله سبحانه وتعالى أستاذنا الدكتور محمد عبد الفضيل القوصى بحثاً قيما بعنوان (هوامش على الإقتصاد فى الاعتقاد ، عرض فى هذا البحث لهذه القضية عرضاً مفصلا ومن أراد التوسع فى هذه القضية فليرجع إليه .

فعل وإن شاء ترك ولا يجب عليه شيء على الإطلاق فهو (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)... الأنبياء — ٢٣ —

المبدأ الثالث : هو أن مفهوم الحكمة يرتبط أيضاً بمسألة تعليل أفعال الله سبحانه وتعالى بالأغراض أو عدم تعليلها .

ونريد الآن أن نبين مدى الارتباط بين هذه المبادئ أولاً ثم نبين مدى إرتباط هذه المبادئ بمفهوم الحكمة ثانياً .

أولا : إننا في واقع الأمر لو نظرنا إلى التحسين والتقبيح والوجوب والتعليل فسوف نجد أن بين هذه الأمور إرتباطاً وثيقاً في مذهب كل من المعتزلة والأشاعرة أما بالنسبة للمعتزلة فاننا إذا قلنا إن التحسين والتقبيح العقليين عند المعتزلة هو الأساس الذي يربط بين الوجوب والتعليل لأننا [إذا حكمنا العقل في أفعاله سبحانه وتعالى تحسيناً أو تقبيحاً فقد أوجبنا أن تكون تلك الأفعال كذا أو لا تكون كذا حتى تتسق أفعاله جل إسمه مع مقتضى تحسين العقل وتقبيحه ، وقد أوجبنا في الآن نفسه أن يكون لكل ما يفعله سبحانه من أفعال وما يخلقه من مخلوقات علة معقولة تنسجم مع هذا المقتضى أي أن التحسين والتقبيح عند المعتزله لا محالة ينتج أمرين إيجاب الواجبات سبحانه عليه وتعليل أفعاله تعالى بالأغراض وبكلمة واحدة الإجابة والتعليل] (١) .

أما عن الارتباط بين التحسين والتقبيح ونفي الإيجاب والتعليل عند الأشاعرة فهو إنهم يقولون [إن العقل لا يحسن ولا يقبح بالمعنى المحدد والمنضبط وأعني به إستحقاق المدح والذم من الله تعالى لفعل ما هو الذي يجعله حسناً وورود النهي عنه سبحانه عن أمر ما هو الذي يجعله قبيحاً

(١) هوامش على الاقتصاد في الإعتقاد لحجة الإسلام الغزالي للدكتور محمد عبد الفضيل القوصي ط ١٩٩٣ ص ١٩

فاذا تبنينا تحسين العقل وتقبيحه بهذا المعنى المحدد فان ذلك سيقتلع قضيتين من جذورهما هما : — إيجاب الواجبات عليه تعالى وتعليل أفعاله تعالى بالأغراض إذ من أين يتأتى وجوب لفعل دون فعل والأفعال قبل صدور الأمر ببعضها والنهي عن بعضها منه تعالى على السوية لا فرق بين فعل وفعل في كون أحدها متعلق بالمدح والثواب وكون الأمر متعلق بالذم والعقاب ثم بماذا نعلل أفعاله سبحانه وتعالى ونحن قد ألغينا حكم العقل تحسيناً وتقبيحاً ، ولا بد للمعلل من إيجاب ولا بد للموجب من تعليل] (١) .

ثانيا : — إن هذه المبادئ السابقة ترتبط بمفهوم الحكمة إرتباطاً وثيقاً ، ذلك لأن الحكمة عند المعتزلة لها مفهوم يرتبط بمفهوم الحسن والقبح والوجوب والتعليل وهو يختلف عن مفهوم الحكمة عند الأشاعرة المرتبط بمفهومهم عند الحسن والقبح ونفي الإيجاب والتعليل . أو بعبارة أخرى [إنك إن جعلت الحسن أولا كما هو نهج المعتزلة كان للحكمة معنى وإن جعلت الحسن آخرا كما هو نهج أهل السنة كان للحكمة معنى مختلف] (٢) ،

وسوف نقوم الآن بتوضيح مفهوم الحكمة عند المعتزلة والأشاعرة بالتفصيل :

(١) الحكمة عند المعتزلة : إذا أردنا أن نتحدث عن الحكمة عند المعتزلة فسوف نجد أنها عندهم هي أن الله سبحانه وتعالى لا يفعل الأفعال التي قبحها العقل ولا يمكن أن يقوم باختيارها وهم يقولون أيضاً

(١) المرجع السابق .

(٢) هوامش على الاقتصاد في الاعتقاد لحجة الإسلام الغزالي الدكتور محمد عبد الفضيل القوصي ط ١٩٩٣ ص ١٩

إن الحكمة تقتضى أن لا يخل الله بما هو واجب عليه عقلا وأن أفعاله سبحانه وتعالى كلها حسنة (١).

وبناء على ذلك فهم يقولون إننا إذا وصفنا الله تعالى بأنه حكيم فمعنى ذلك إنه لا يريد القبيح لأن إرادة القبيح قبيحة ومشيئة السفه سفه كما أن إرادة الحكمة حكمة (٢).

٢ — الحكمة عند الأشاعرة . لقد تصور الأشاعرة الحكمه تصورا مخالفاً للمعتزلة فهم يقولون إن الحكمة هى تحقيق الإتقان فى صنعته سبحانه وخلقه لمخلوقاته لأنها وقعت عن وفق علمه المحيط وإرادته الشاملة وقد أشار إلى هذا المفهوم للحكمة كثير من الأشاعرة كالشهرستانى فى كتاب نهاية الإقدام (٣) وكالآمدى فى كتاب غاية المرام (٤) ... وقد تابعهم فى ذلك كثير من الأشاعرة مثل البغدادى الذى قال عند تعريفه للحكمة: [الحكمة هى أن البارى تعالى حكيم فى خلق كل ما خلق ولو لم يخلق لم يخرج عند الحكمة ولو خلق أضعاف ما خلق فكذلك ولو خلق المؤمنين دون الكافرين فكذلك ولو خلق الكافرين دون المؤمنين فكذلك ولو خلق الجمادات دون الأحياء أو عكسه فكذلك وكانت كل هذه الوجوه صواباً وعدلا وحكمة] (٥).

(١) هوامش على الاقتصاد فى الاعتقاد لحجة الإسلام الغزالى للدكتور محمد عبد الفضيل القوصى ط ١٩٩٣ ص ١٩

(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص ٦٨ نقلا عن المرجع السابق.

(٣) نهاية الإقدام للشهرستانى ص ٤٠١ ، ٤٠٢

(٤) غاية المرام ص ٢٢٣ والهوامش للدكتور محمد عبد الفضيل ص ٦٠

(٥) أصول الدين للبغدادى ص ١٥٠

فهو يرى أن أفعال الله سبحانه وتعالى تتصف كلها بالحكمة فهو يفعل ما يفعل ويترك مايترك ولا يسأل عما يفعل وهـذا يتوافق مع الإطار العام لمذهب الأشاعرة ونلاحظ على هذا المذهب ما يأتى :

١ — إن الله حين يفعل فعلا من الأفعال فإن أفعال الله منزهة عن الأغراض لأن أفعال الله سبحانه وتعالى كلها حكيمة .

٢ — إن الأشاعرة يعترفون بأن أفعال الله سبحانه وتعالى على الرغم من عدم تعليلها بالأغراض إلا أنها تشتمل على حكم كثيرة .

٣ — إن هذه الحكم التى يفعلها الله سبحانه وتعالى ليس الغرض منها أن الله سبحانه وتعالى يرتجى من ورائها خيرا يتوقعه أو مدحاً من مخلوق من مخلوقاته .

(هـ) الحكمة عند علماء أصول الفقه :

قبل أن نتحدث عن مفهوم الحكمة عند علماء أصول الفقه فلابد أن نشير إلى ما يأتى :

١ — قد يتساءل البعض عن مدى علاقة أصول الفقـه بالفلسفة والجواب عن ذلك يحدثنا الشيخ مصطفى عبد الرازق فيقول: [وعندى إنه إذا كان لعلم الكلام ولعلم التصوف من الصلة بالفلسفة ما يسوغ جعل اللفظ شاملا لهما ، فإن علم أصول الفقه المسمى أيضا علم أصول الأحكام ليس ضعيف الصلة بالفلسفة ، ومباحث أصول الفقه تكاد تكون فى جملتها من جنس المباحث التى يتناولها علم أصول العقائد الذى هو علم الكلام بل إنك ترى فى كتب أصول الفقه أبحاثاً يسمونها مبادىء كلامية هى من مباحث علم الكلام ، وأظن أن التوسع فى دراسة تاريخ الفلسفة

الإسلامية ينتهى إلى ضم هذا العلم إلى شعبها[1] .

٢ — إن علماء أصول الفقه قد تحدثوا عن الحكمة وذلك حين تحدثوا عن القياس فإنهم جعلوه مصدراً من مصادر التشريع الإسلامى وهم حين يتحدثون عن القياس فإنهم يقسمونه إلى : الكلام عن الأصل والفرع والعلة والحكم وهم يبحثون عن مفهوم الحكمة حين يتحدثون عن العلة فيقومون بالمقارنة بين العلة والحكمة من حيث تعريف كل منهما وذلك على النحو التالى :

(ا) إنهم يقولون إن العلة هى المعنى المناسب لتشريع الحكم الشرعى مثال ذلك إنهم يقولون إن العلة فى جواز الفطر فى رمضان هى السفر الذى هو مظنة المشقة المستوجبة لثبوت رخصة الفطر .

(ب) أما الحكمة فيقولون عنها : [هى كون الوصف بحيث يكون توقف الحكم عليه متضمنا لجلب نفع أو دفع ضرر معتبر فى الشرع][2] .

مثال ذلك : إنهم يقولون إن الله قد شرع الصوم لكسر القوة الحيوانية حتى لا يقع الإنسان فى الشهوات والمعاصى .

ويجب أن نلاحظ هنا ما يأتى :

١ — إن هناك فرقا بين العلة والحكمة عند الأصوليين فى أن العلة هى المعنى المناسب لتشريع الحكم ، أما الحكمة فهى الثمرة المقصودة من تشريع الحكم ، ومما يوضح لنا ذلك أن تحريم الخمر مثلا له علة وهى الإسكار وله حكمة وهى المحافظة على عقول الناس .

(١) تمهيد تاريخ الفلسفة الإسلامية للشيخ مصطفى عبد الرازق ص٢٧ ط لجنة التأليف والنشر والترجمة .

(٢) راجع شرح التلويح على التوضيح جـ ٢ ص ٦٩

٢ — إن العلة دائماً تكون وصفاً ظاهراً منضبطاً يلائم تشريع الحكم أما الحكمة فإنهم يرون إنها أمر قد يدرك أو قد لا يدرك .

(جـ) إن علماء أصول الفقه يقسمون الحكمة إلى الأقسام الآتية :

القسم الأول : الحكمة الواضحة الجلية المنضبطة .

القسم الثانى : الحكمة الخفية المضطربة التى لا يدركها الإنسان بسهولة .

وهم يقولون أن القسم الأول من أقسام الحكمة يجوز أن نجعله علة أما القسم الثانى فلا يجوز أن نجعله علة لأنه يختلف على حسب إختلاف أحوال الناس وأوضاعهم[1] .

مفهوم الحكمة فى الفكر الفلسفى

المعنى الإشتقاقى للفلسفة :

كلمة فلسفة ليست عربية الأصل وإنما هى معربة عن اللغة اليونانية ويرجع أصلها فى الحقيقة إلى كلمتين يونانيتين إحداهما (فيلو) ومعناها محبة أو صداقة أو إيثار والأخرى (صوفيا) ومعناها الحكمة ، فمعنى الكلمتين بعد التركيب (محبة الحكمة) وصداقتها وهذا هو المعنى الإشتقاقى لكلمة فلسفة[2] .

(١) لمزيد من التفاصيل فى ذلك يجب الرجوع إلى كتب أصول الفقه مثل كتاب التشريع الإسلامى للشيخ على حسب الله ص ١٢٢ وكتاب أصول الفقه الإسلامى للدكتور زكى الدين شعبان ص ١٤٠

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية للدكتور عوض الله حجازى والدكتور محمد السيد نعيم الطبعة الثانية ص ١٠

ويقال إن فيثاغورث هو أول من استخدم هذه الكلمة حوالى القرن السادس ق . م حيث يروى عنه إنه قال : (الحكمة لله وحـــده ، إنما للإنسان أن يجد ليعرف وفى استطاعته أن يكون محباً للحكمة تواقاً إلى المعرفة باحثاً عن الحقيقة أى فيلسوفاً)[1] .

المعنى الإصطلاحى للفلسفة :

من الصعب أن نجد تعريفاً إصطلاحياً دقيقاً للفلسفة ذلك لأن الفلاسفة لم يتفقوا على كلمة واحدة حين أرادوا أن يعرفوها .

ولعل مما يفسر لنا السبب فى ذلك ما يأتى :

١ — إن تعريف الفلسفة ماهو إلا موضوع من الموضوعات الفلسفية ومن المعلوم أن كلمة الفلاسفة لم تتفق حين بحثـــوا فى أى موضوع من الموضوعات .

٢ — إن تعريف الفلسفة يختلف على حسب إختلاف الفلاسفة فى العصور الفلسفية المختلفة بل وبين أبناء العصر الواحد[2] .

وعلى ذلك إننا إذا أردنا أن فستقصى تعاريف الفلسفة عند الفلاسفة فإن ذلك سوف يخرجنا عن إطار موضوعنا الذى نحن بصدد البحث فيه ولكننا نريد أن نقف هنا على بعض النقاط الهامة التى نريد أن نشير إليها وهى :

١ — أن هناك إرتباطاً وثيقاً بين الحكمة والفلسفة وهذا واضح من خلال عرض المعانى الاشتقاقية للفلسفة .

---

(١) المرجع السابق ص ٩

(٢) لمزيد من التفاصيل حول هذه المسألة راجع تمهيد الفلسفة للدكتور محمود حمدى زقزوق ص ٢٥ وما بعدها .

٢ — إن الحكمة عند الفلاسفة قد تستعمل بمعنى واسع وقد تستعمل بمعنى ضيق .

أما معناها الواسع فسوف نجد إنها تكون مرادفة للفلسفة وقد تبين لنا ذلك حين عرضنا لتعاريف الحكمة فى مفهومها العام حيث قلنا إن الحكمة تعرف بأنها هى : (البحث عن أحوال أعيان الموجودات على ماهى عليه فى نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية)[1] .

وهذا التعريف للحكمة يتفق تماماً مع تعريف الفلسفة عند أرسطو حيث يقول إن الفلسفة هى (العلم بالوجود من حيث هو وجود أى من حيث هو أو هى العلم بالعلل والمبادىء الأولى للأشياء)[2] .

أما المعنى الضيق لمفهوم الحكمة فى الفلسفة فهـــو يتلخص فى أن الفلاسفة قد نظروا إلى الحكمة على أنها فضيلة هامة من الفضائل الأخلاقية وسوف نقوم بعرض هذين المفهومين عرضاً مفصلا وذلك على النحو التالى :

أولا : المفهوم الفلسفى الواسع للحكمة :

لقد عرفنا أن هذا المفهوم الفلسفى الواسع للحكمة يجعلها شاملة فى بحثها عن الموجودات من حيث هى موجودة وسوف نبين أهم الأمور التى يمكن أن تندرج فى إطار البحث الفلسفى لمفهوم الحكمة وذلك على النحو التالى :

---

(١) كشاف إصطلاحات الفنون لتهانوى سنة ١٩٦٣ جـ ١ ص ٤٩

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية الأستاذ يوسف كرم ص ١٧٠ ط ثانية مطبعة التأليف والترجمة سنة ١٩٤٦

(ا) تقسيم أرسطو للعلوم الفلسفية :

يقسم أرسطو العلوم الفلسفية إلى قسمين :

القسم الأول : هو العلوم النظرية : وهى التى تسعى إلى المعرفة لذاتها وهذه العلوم ثلاثة هى : الطبيعيات ، وتبحث فى المتحرك المحسوس ، والرياضيات وتبحث فى الوجود من حيث هو مقدار وعدد مجرد من المادة ، والإلهيات وتبحث فى الماهيات الروحية الثابتة أو فى الوجود من حيث هو وجود فحسب ، ويطلق أرسطو على الإلهيات أو ما بعد الطبيعة أو الميتافيزيقا (الفلسفة الأولى) ويطلق على الطبيعيات (الفلسفة الثانية).

القسم الثانى : العلوم العملية : وهى التى تسعى إلى المعرفة من أجل الفعل أو السلوك العملى وهـــذه العلوم أيضاً ثلاثة هى : الأخلاق : وموضوعها الفعل الإنسانى بالنسبة للفرد ، وتدبير المنزل وموضوعه الفعل الإنسانى من حيث هو فى أسرة ، والسياسية وموضوعها الفعل الإنسانى داخل الجماعة .

ولم يدخل أرسطو المنطق فى هـذا التصنيف ، وإنما جعله آلة العلوم لأن موضوعه صورة الفكر لا مادته ، فهو مقدمة أو توطئة لابد منها لدراسة موضوعات الفكر[1] .

(ب) تقسيم ابن سينا للعلوم الفلسفية :

قبل أن نعرض لتصنيف العلوم الفلسفية أو علوم الحكمة عند ابن سينا فإننا نريد أن نعرض أهم تعاريف الحكمة عنده وذلك على النحو التـالى :—

التعريف الأول: الحكمة (أى الفلسفة) هى إستكمال النفس الإنسانية

---

(١) المدخل إلى الفلسفة : أزفيلد كوليه ترجمة أبو العلا عفيفى ص ١٦ وراجع أيضاً تاريخ الفلسفة اليونانية يوسف كرم ص١١٨

بتصور الأمور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية على قدر الطاقة الإنسانية[1] .

التعريف الثانى : أن الحكمة صناعة نظر يستفيد منها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود كله فى نفسه وما عليه الواجب مما ينبغى أن يكسبه فعله لتشرف بذلك وتستكمل وتصير عالماً معقولا معناها العالم الموجود وتستعد السعادة القصوى فى الآخرة وذلك حسب الطاقة الإنسانية[2] .

أما عن التقسيم للعلوم الفلسفية عنده فهو نفس تقسيم أرسطو حيث يقسمها إلى علوم نظرية وأخرى عملية .

ومما هو جديد بالذكر أن الحكمة النظرية تتميز عن الحكمة العملية بالسمات الآتية :

السمة الأولى : إنها ذات طابع كلى .

السمة الثانية : إنها ناتجة من الدهشة التى تبعث على التفكير .

السمة الثالثة : إنها تستلزم التوقف الضرورى للتأمل والخلوة العقلية .

السمة الرابعة : إنها تبعد المفكر عند التعصب البغيض بأن توسع أفقه وتفرض عليه احترا آراء الآخرين[3] .

ولكننا نلاحظ أن ابن سينا وأرسطو على الرغم من إتفاقهما على

---

(١) تمهيد للفلسفة الدكتور محمود حمدى زقزوق ص٤٥

(٢) المعجم الفلسفى : مراد وهبة ص ١٧٨

(٣) مقدمة فى الفلسفة العامة الدكتور يحيى هويدى ص ١٠ ط ١٩٥٩ مكتبة القاهرة الحديثة

تقسيم العلوم الفلسفية إلى نظرية وعملية إلا أن ابن سينا يحاول أن يربط الحكمة بالدين فيذكر أن : مبدأ الحكمة العملية بأقسامها الثلاثة مستفاد من جهة الشريعة الإلهية ، وأن مبادىء أقسام الحكمة النظرية مستفادة من أرباب المنة الإلهية على سبيل التنبيه ، ومتصرف على تحصيلها بالكمال بالقوة العقلية على سبيل الحجة ، وقد صرح بعد أن تحدث عن أقسام الحكمة بأنه ليس شيء منها يشتمل على ما يخالف الشرع ، فإن الذين يدعونها ثم يزيغون عن منهاج الشرع إنما يضلون من تلقاء أنفسهم ومن عجزهم وتقصيرهم ، لا أن الصناعة نفسها توجبه ؛ فإنها بريئة منهم .

(ج) تقسيم ديكارت للعلوم الفلسفية :

يرى ديكارت أن الفلسفة مرادفة للحكمة وذلك حين يقول (إن كلمة فلسفة) تعني دراسة الحكمة وإننا نعني بالحكمة مجرد الفطنة والمهارة في الأعمال فحسب بل هي معرفة كاملة لكل ما في وسع الإنسان معرفته بالإضافة إلى تدبير أموره وصيانة صحته وإستكشاف الفنون جميعاً ولكي تكون هذه المعرفة كما وصفناها فمن الضروري أن تكون مستنبطة من العلل الأولى بحيث يلزم إكتسابها أن نبدأ بالفحص عن هذه العلل أي بالفحص عن المبادىء[1] .

ونلاحظ ما يأتي على هذا التعريف للفلسفة :

(أ) إن هذا التعريف يجمع بين مفهوم الفلسفة والحكمة .

(ب) إنه لا يقتصر على جعل الحكمة هي الذكاء العقلي فقط بل هي

(١) مبادىء الفلسفة لديكارت ترجمة الدكتور عثمان أمين

تشمل معرفة كل ما يستطيع الإنسان أن يعرفه طالما أنه في حدود قدرته العقلية .

(ج) إنه يشير إلى أن الحكمة تشمل الأمور النظرية والعملية وغيرها من سائر أمور الحياة ، ولذلك هو يجعل الفلسفة كلها بمثابة شجرة جذورها الميتافيزيقا وجذعها العلم الطبيعي وأعضاؤها باقي العلوم وهي ثلاثة علوم كبرى هي :

الطب والميكانيكا والأخلاق[2] :

(د) إن هدف الفلسفة عنده هو أن تحقق رفاهية البشر وسعادتهم في كل أمور حياتهم .

(هـ) إنه يؤكد على مجموعة من الشروط التي يجب أن نراعيها حتى نستطيع أن نتوصل إلى التفكير الصحيح فهو يقول (إذا أردنا أن نفرغ لدراسة الفلسفة) دراسة جدية ، وللبحث عن جميع الحقائق التي في مقدورنا معرفتها ، وجب علينا أن نتخلص أولا من أحكامنا السابقة ، وأن نحرص على إطراح جميع الآراء التي سلمنا بها من قبل وذلك ريثما تكشف لنا صحتها بعد إعادة النظر فيها ، وينبغي أيضاً أن نراجع ما بأذهاننا من تصورات ، وألا نصدق منها إلا التصورات التي ندركها في وضوح وتمييز .

ثانياً : المفهوم الضيق للحكمة في الفكر الفلسفي :

لقد عرفنا أن الحكمة لها مفهوم ضيق عند الفلاسفة وهو أنهم ينظرون إليها على أنها فضيلة من الفضائل الأخلاقية وهذا ما سنقوم ببيانه تفصيلا وقبل أن نشرح ذلك لابد أن نشير إلى ما يأتي :

(٢) الفلسفة ومباحثها للدكتور محمد علي أبو ريان ص ١١٩

١ — إن الحكمة قد إحتلت مكانة كبيرة عند علماء الأخلاق لدرجة أن العلماء الأقدمين منهم قد جعلوا الحكمة من أمهات الفضائل ذلك لأنهم ذهبوا إلى أن أمهات الفضائل أربع هى الحكمة والشجاعة والإعتدال أو العفة والعدل وأن الفضائل الأخرى تتصل بها أو تدخل تحتها، فالحكمة فى نظرهم هى أولى الفضائل كلها[١].

٢ — إن الحكمة فى معناها العام عند علماء الأخلاق هى عبارة عن الفضيلة أو الفطنة فهم يجعلون الحكمة مرادفة لهذين المعنيين[٢]، وهى بصفة عامة أيضاً عندهم تعنى الإصابة فى العلم والعمل وعلى ذلك يكون الرجل الحكيم عندهم هو الرجل البصير بوضع الأمور فى نصابها[٣].

٣ — إن الحكمة تتوقف على مجموعة من الأمور الهامة منها :

(أ) أن يتمتع المتصف بها باليقظة والحزم .

(ب) أن يكون لديه بعد نظر فى الأمور التى تقع تحت تفكيره .

(ج) أن يتمتع الحكيم بالذكاء والتعقل وصفاء الذهن[٤].

٤ — إن الناس بالنسبة للحكمة ينقسمون إلى الأقسام الآتية :

القسم الأول : من أتاهم الله الحكمة وهؤلاء لا يفعلون إلا الأفعال

(١) فى علم الأخلاق للدكتور محمد السيد نعيم ط ١٩٦٦ ص١٥٣

(٢) الأخلاق النظرية للدكتور عبد الرحمن بدوى ص ١٦٢ ط وكالة المطبوعات بالكويت سنة ١٩٧٦

(٣) مقدمة فى علم الأخلاق الدكتور محمود حمدى زقزوق ص١٥٣

(٤) فى علم الأخلاق للدكتور محمد السيد نعيم ط ١٩٦٦ ص١٣٢

التى توحى بها عقولهم الناضجة ولا يسيرون إلا على مقتضى قوانين الأخلاق ولا يبتغون سبيل الشيطان وهم أنصار الفضيلة فى كل زمان ومكان[١].

القسم الثانى : وهم السفهاء من الناس الذين إبتعدوا عن الطريق المستقيم وتركوا فعل الفضائل التى تنادى بها الفطرة السليمة فوقعوا فى الشرور والآثام .

القسم الثالث : الذين أهملوا عقولهم فضعفت تلك العقول عن الوصول إلى الحقيقة وأصبح حالهم كحال السلاح المهمل الذى كان مصيره هو التعرض للصدأ[٢].

الحكمة الخلقية فى الفكر اليونانى :

لقد إهتم فلاسفة اليونان بالحكمة الخلقية إهتماماً كبيراً وذلك على النحو التالى :

(أ) بالنسبة لسقراط نجد أنه قد جعل الحكمة هى المعرفة وذلك حين قال عبارته المشهورة [إن الفضيلة علم والرذيلة جهل] وهو يفسر ذلك بأن الإنسان بطبيعته يميل إلى الخير وينفر من الشر فهو إذا علم أن شيئاً ما خيراً فلا بد أن يحمله هذا العلم على فعله وهو لا يفعل الشرور إلا عندما يكون جاهلا إنها شروراً[٣].

(ب) أما أفلاطون فإنه قد إهتم بالحكمة الخلقية إهتماماً كبيراً وذلك لأنه جعلها على رأس الفضائل الخلقية لأنه يرى أن هذه الفضائل تنبع من قوى النفس التى يقسمها إلى ثلاثة أقسام هى :

(١) المرجع السابق (بتصرف)

(٢) المرجع السابق (بتصرف)

(٣) تاريخ الفلسفة اليونانية للدكتور عوض الله حجازى ص ١٠٢

القسم الأول : هو القوة الشهوية وفضيلتها العفة .

القسم الثانى : هو القوة الغضبية وفضيلتها الشجاعة .

القسم الثالث : هو القوة العاقلة وفضيلتها الحكمة ، وهو يجعل هذه الفضيلة أعلى فى الدرجة من الفضيلتين السابقتين ومما يؤكد لنا ذلك إنه دعا إلى ضرورة خضوع القوة الشهوية والقوة الغضبية للقوة العاقلة فهذا يدل على أن فضيلة الحكمة عنده أفضل من فضيلتى العفة والشجاعة ومما هو جدير بالذكر إنه يرى أن هناك فضيلة رابعة تنشأ عن التناسق بين هذه الفضائل الثلاث وهى فضيلة العدالة[1] .

(ح) أما أرسطو فإنه يجعل الحكمة وسطا بين طرفين مرذولين هما السفه والبله ويقصد بالسفه إستعمال القوة الفكرية فيما لا ينبغى ويراد بالبله تعطيل هذه القوة وإهمالها[2] .

ونلاحظ على الحكمة الخلقية عند أرسطو ما يأتى :

١ — أنها تشتمل على الجوانب النظرية والعملية معاً وذلك لأنه يرى أن الحكمة أو الفطنة فضيلة عقلية أولا تمكن صاحبها من حسن القيام بعمله فهو لكى يحسن الفعل لا بد أن يعرف ما يتعلق به معرفة صحيحة وإن الفعل يكون حسناً إذا التقت الحكمة والفضيلة على موضوع واحد بحيث ترى الحكمة ما يجب علينا فعله وترى الفضيلة أن الإرادة يجب أن تنعقد عليه ، وباجتماع الفكر والإرادة يتم العزم وبالعزم يكون الفعل لأن العزم هو مبدأ الفعل الأخلاقى[3] .

(١) راجع تفاصيل ذلك فى كتاب تاريخ الفلسفة اليونانية للدكتور عوض الله حجازى ص ١٢١

(٢) فى علم الأخلاق للدكتور محمد السيد نعيم ص ١٣٢

(٣) الأخلاق النظرية للدكتور عبد الرحمن بدوى ص١٦٣

٢ — أن الحكمة الخلقية عنده تقتضى أن يتعرف الإنسان على الأعمال الصحيحة ووسائل أكتسابها وبواسطة الحكمة يستطيع الإنسان أن يعرف ما ينبغى عليه أن يفعله وما ينبغى عليه أن يتجنبه فينتج عن ذلك أن يفعل الإنسان الفضائل ويترك الرذائل فيصبح إنساناً فاضلا أمام نفسه وأمام المجتمع .

الحكمة الخلقية فى فلسفة العصور الوسطى المسيحية :

لقد إهتم المفكرون المسيحيون وفلاسفة الأخلاق عندهم بالحكمة الخلقية ومما يؤكد ذلك إن القديس توما الإكوينى يرى أن فضيلة الحكمة هى فضيلة كلية تندرج تحتها فضائل جزئية وهو يرى أن هذه الفضائل تتلخص فيما يأتى :

١ — الإستفادة من التجارب الشخصية السابقة .

٢ — الإستفادة من تجارب السابقين من الحكماء .

٣ — أن يستقصى الإنسان الحقائق قبل أن يقوم بإصدار قراراته الخاصة .

٤ — أن يهتم الإنسان بتحديد الغاية السليمة من أعماله[1] .

الحكمة الخلقية فى الفلسفة الإسلامية :

لقد إهتم فلاسفة الإسلام على إختلاف إتجاهاتهم بالجوانب المختلفة فى الفلسفة الخلقية ومما يؤكد لنا ذلك أن ابن سينا مثلا يختلف فى إتجاهه الفلسفى عن مسكويه والغزالى ولكنهم على الرغم من ذلك قد إتفقوا فى الإهتمام ببحث المشكلة الخلقية والحكمة المتعلقة بها وذلك على النحو التالى :

(١) الأخلاق النظرية للدكتور عبد الرحمن بدوى ص١٦٣

(أ) بالنسبة لابن سينا يرى الحكمة الخلقية هى قسم من أقسام الحكمة العملية[١]، وهو يرى أن فائدة هذه الحكمة هى أن نتعلم منها الفضائل وكيفية اكتسابها كى نرتقى بها النفس كما أننا نستطيع أن نتعلم بواسطتها الرزائل وكيفية تجنبها كى تتطهر عنها النفس[٢].

(ب) أما مسكويه فهو يرى أن الحكمة هى فضيلة النفس الناطقة المميزة وتتمثل فى العلم بالأمور الإلهية والأمور الإنسانية ويشمر هذا العلم معرفة المعقولات أيها يجب أن يفعل وأيها يجب أن يترك[٣].

ونلاحظ على الحكمه عنده أمرين :

الأمر الأول : إن الحكمه عنده تتعلق بأمور تجعل الانسان حسن الاستعداد للحكمه منها أن يكون الإنسان ذكياً متعقلا سريع الفهم صافى الذهن ويتعلم بسهولة .

الأمر الثانى : إن الحكمه وسط بين السفه والبله ، أما السفه فهو إستعمال القوة الفكرية فيما لا ينبغى وكما لا ينبغى ، وأما البله فهو تعطيل القوة الفكرية بالارادة[٤].

الحكمة الخلقية فى الفلسفة الحديثة :

خير مثال نستطيع أن نهتدى به فى حديثنا عن الحكمة الخلقية فى الفلسفة الحديثة هو ديكارت أبو الفلسفة الحديثة ولقد حدد لنا ديكارت ثلاث قواعد الحكمة الخلقية تتلخص فيما يأتى :

(١) وقدمنا بتفصيل ذلك حين تحدثنا عن الحكمة فى المفهوم الفلسفى.
(٢) المعجم الفلسفى للدكتور مراد وهبه ط١ ١٩٧٩ ص ١٧٨
(٣) مقدمة فى علم الأخلاق للدكتور محمود حمدى زقزوق ص ١٥٣
(٤) المرجع السابق .

الأولى : أن يعمل الإنسان دائماً على أن يستخدم عقله على أحسن وجه إبتغاء أن يعرف ما يجب أن يفعله أولا يفعله فى كل ظروف الحياة .

الثانية : أن يكون ذا عزم راسخ على إنجاز ما ينصحه به العقل، دون أن تصرفه عن ذلك شهواته .

الثالثة : أن يعتبر — أثناء سلوكه هكذا وفقاً للعقل — أن كل الخيرات التى لا يملكها هى كلها خارج سلطانه ، وعن هذا الطريق يتعود ألا يشتاقها لأنه لا شىء مثل الشهوة أو الحسرة أو الندم يمكن أن يحول بيننا وبين أن تكون راضين .

لكن إذا فعلنا دائما حسبما يملى علينا العقل ، فلن نجد أبداً ما يدعونا إلى الندم ، حتى لو بينت لنا الأحداث فيما بعد أننا أخطأنا . وذلك لأنه لم يكن الذنب ذنبنا .

وما يجعلنا لا نشتهى مثلا أن تكون لنا أذرع أكثر أو أطول فى الدنيا ، وإنما نشتهى أن تكون صحتنا أحسن أو ثرواتنا أكبر أو أننا نتصور أن هذه الأشياء يمكن أن نكتسبها بسلوكنا ، أو إنها راجعة إلى طبيعتنا ، وليس الأمر كذلك بالنسبة إلى الأشياء الأخرى ، وهذا الرأى يمكننا أن نتخلص منه حين نتأمل أنه ما دمنا قد تابعنا دائماً نصيحة العقل ، فإننا لم نهمل شيئا مما كان فى إستطاعتنا ، وأن الأمراض والبلايا ليست أقل طبيعية للإنسان من السعادات والصحة .

وفضلا عن ذلك فليست كل الرغبات غير متفقة مع السعادة ، وإنما فقط تلك المصحوبة بالقلق والحزن. وليس من الضرورى أيضاً ألا يخطىء عقلنا أبداً ، بل يكفى أن يشهد ضميرنا أننا لم نعوزنا العزيمة ولا الفضيلة من إنجاز كل الأمور التى حكمنا بأنها هى الأحسن ، وهكذا فإن الفضيلة وحدها كافية لجعلنا راضين فى هذه الحياة[١] .

(١) الأخلاق النظرية الدكتور عبد الرحمن بدوى ص ١٦٤

(د) إن المتصوفة قد جعلوا الحكمة وسيلة لمعرفة آفات النفس وكيفية علاج هذه الآفات .

(هـ) أما المتكلمون وعلماء أصول الفقه فإنهم قد استخدموا الحكمة استخداما ينبع من خلال القضايا التى اهتموا ببحثها حيث وجدنا أن المتكلمين قد ربطوا قضية الحكمة بأفعال الله سبحانه وتعالى ، أما علماء أصول الفقه فقد ربطوها بالقياس الفقهى وهو التمثيل على نحو ما بينا سابقاً.

أما بالنسبة للاتجاه الفلسفى فإننا نلاحظ عليه ما يأتى :

١ — أن الحكمة قد ارتبطت بالفكر الفلسفى ارتباطاً كبيرا .

٢ — أن الحكمة فى مفهومها العام عند الفلاسفة كانت تعنى البحث فى كل ما يستطيع العقل أن يقوم ببحثه فى ظواهر الوجود أما بمعناها الخاص فكان البحث فى الفضائل الأخلاقية وجعل الحكمة من أمهات هذه الفضائل وعلى ذلك فاننا نستطيع أن نقول إن الحكمة قد احتلت مكانة كبيرة فى إطار كل من الدين والفلسفة وإن النتيجة النهائية التى نخرج بها من هذا البحث هى : أن الحكمة تعد فى حد ذاتها غاية ونعمة ، أما أنها غاية فلأنه يسعى إليها الإنسان الذى يسمو بذاته إلى مرتبة الإنسانية ويرقى بها عن دوك الحيوانية. علماً وعملا يؤهله لأداء الأمانة ، أما أنها نعمة من الله تعالى فلأنه جل شأنه يعطيها لمن يشاء من عباده تفضلا منه وكرماً .

خاتمة البحث

بعد أن استعرضنا مفهوم الحكمة بين الفلسفة والدين نستطيع أن نؤكد على أن الحكمة قد احتلت مكانة عاليـــة فى إطار كل من الدين والفلسفة إلا أن هناك بعض الأمور الهامة التى أود أن أشير إليها وهى تتلخص فيما يأتى : —

١ — أن الفلسفة والدين من حيث الموضوع الذى يبحث فيه كل منهما يتفقان فيما يأتى :

(ا) إن كلا منهما يبحث فى الأمور بحثاً كلياً .

(ب) أن « « يهدف إلى تحقيق السعادة للإنسان .

(ح) أن « « قد رفع من شأن الحكمة .

٢ — إلا أنهما يختلفان فيما يأتى : —

(ا) إن منطلق الدين هو الاعتماد على الوحى المعصوم من الخطأ ، أما منطلق الفلسفة فهو الاعتماد على العقـل القاصر المحدد بحدود الثقافة والبيئة ومن هنا فإن أحكام الفلسفة ليست على درجة عالية من اليقين بل هى قابلة للخطأ .

(ب) إن مفهوم الحكمة فى الدين قد ورد فى القرآن الكريم بكثير من المعانى التى سبق أن أشرنا إليها مثل أن الحكمة فى القرآن قد تعنى السنة ويشير إلى ذلك قوله تعالى : (ويعلمهم الكتاب والحكمة)[الجمعة آية: ٢] كما إن الحكمة قد وردت فى القرآن بمعنى العقل والفقه والعلم يشير إلى ذلك قوله تعالى (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً)[البقرة الآية ٢٦٦] .

(ح) أما السنة فإنها أيضاً قد اهتمت بشأن الحكمة حيث جعلتها سبيلا للاستقامة وطريقا للسعادة ومصدرا للخير .

أهم مراجع البحث

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ أخلاق العلماء لأبى بكر بن الحسين بن عبد الله ، ط دار الكتاب العربى ــ بيروت .

٣ ــ الأخلاق النظرية للدكتور عبد الرحمن بدوى ، ط وكالة المطبوعات بالكويت ١٩٧٦

٤ ــ أصول التشريع الإسلامى للشيخ على حسب الله .

٥ ــ أصول الدين للبغدادى .

٦ ــ أصول الفقه الإسلامى للشيخ زكى الدين شعبان .

٧ ــ أضواء على الفلسفة العامة للدكتور عبد اللطيف العبد ،ط دار الثقافة العربية ١٩٨٦

٨ ــ الاقتصاد فى الأعتقاد للإمام الغزالى ، مكتبة الجندى .

٩ ــ تاريخ الفلسفة اليونانية للدكتور عوض الله حجازى ، دار الطباعة المحمدية .

١٠ ــ تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم .

١١ ــ تسع رسائل فى الطبيعة والحكمة لابن سينا .

١٢ ــ تعريفات للجرجانى طبع مصطفى البابى الحلبى ــ القاهرة .

١٣ ــ تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية للشيخ مصطفى عبد الرازق ط لجنة التأليف والنشر والترجمة :

١٤ ــ تمهيد للفلسفة للدكتور محمد حمدى زقزوق ط ٤ دار المعارف .

١٥ ــ دراسات فى الفلسفة للدكتور صلاح عبد العليم إبراهيم ط ١٩٨١ .

١٦ ــ الدين للدكتور محمد عبد الله دراز ،

١٧ ــ الروح لابن القيم ط ١٩٦٣

١٨ ــ روضة الطالبين للامام الغزالى ، مطبعة السعادة .

١٩ ــ شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار .

٢٠ ــ شرح التلويح على التوضيح ، الجزء الثانى .

٢١ ــ الفلسفة ومباحثها للدكتور محمد على أبو ريان .

٢٢ ــ فى علم الأخلاق للدكتور محمد السيد نعيم ط ١٩٦٦

٢٣ ــ فى الفلسفة مدخل وتاريخ للدكتور محمد كمال جعفر ط دار العروبة بالكويت ١٩٨١

٢٤ ــ كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٢٥ ــ الكشكول لبهاء الدين العاملى ج ٣

٢٦ ــ لسان العرب لابن منظور ج ٥

٢٧ ــ مبادىء الفلسفة لديكارت ترجمة الدكتور عثمان أمين ط دار الثقافة العربية .

٢٨ ــ مبادىء الفلسفة رابوبورت ، ترجمة أحمد أمين .

٢٩ ــ المدخل إلى الفلسفة ، أزفيلد كوليه ، ترجمة أبو العلا عفيفى .

٣٠ ــ المعجم للدكتور مراد وهبه ط ٣ ، ١٩٧٩

٣١ ــ مفاتيح الغيب للامام فخر الدين الرازى ج ٣ ط ١٩٨١

٣٢ ــ مقدمة فى علم الأخلاق للدكتور محمود حمدى زقزوق .

٣٣ ــ نهاية الإقدام للشهرستانى .

٣٤ ــ هوامش على الاقتصاد فى الاعتقاد للدكتور محمد عبد الفضيل القوصى ط ١٩٩٣